تقرير

شوقي عشقوتي

أوكرانيا والناتو والحرب التجارية أوروبا "مذعورة" من ترامب

لا يكتم الاوروبيون مخاوفهم بازاء عودة الرئيس دونالد ترامب الى البيت الابيض، ويستشعرون خطرا داهما، خصوصا ان ترامب عاد مع سلطة واسعة وسياسة توسعية وجنوح نحو احادية شاملة، مهددا بفرض رسوم جمركية وشن حرب تجارية على الاتحاد الاوروبي، وملوحا بإبرام اتفاق مع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين من دون اوكرانيا ومن وراء ظهر حلفائه الاوروبيين

ايام عصيبة واستثنائية بالنسبة الى الاوروبيين حيث تتكاثر التحديات التي تواجههم، وكلها مرتبط بعودة الرئيس دونالد ترامب الى البيت الابيض. ما يبحثون عنه هو توحيد كلمتهم ورسم خارطة طريق للتعامل مع الادارة الاميركية الجديدة، وتأطير العلاقة معها في ملفات رئيسية، منها الحرب في اوكرانيا حيث يلوح في الافق احتمال انطلاق محادثات سلام لا يريد الاوروبيون ان تتم من فوق رؤوسهم ومن فوق رأس الاوكرانيين. كذلك، يتعين عليهم ان يتدارسوا شكل النهج الجماعي الذي سيلتزمون به للرد على تهديدات ترامب بفرض رسوم باهظة على صادراتهم الى الولايات المتحدة.

فضلا عن ذلك، يطرح ترامب في وجههم تحديا آخر لا يقل صعوبة، عنوانه رغبته في السيطرة على جزيرة غرينلاند الواقعة في القطب الشمالي العائدة الى الدانمارك التي يعتبرها استراتيجية وضرورية لأمن الولايات المتحدة والقطب الشمالي. والتساؤل الكبير يتناول طبيعة الرد الاوروبي اذا سعى ترامب، حقيقة لبلوغ هدفه، رغم رفض كوبنهاغن وسكان غرينلاند.

ثم ان الملف الاخر الكبير يتناول كيفية العمل على تعزيز الدفاع الاوروبي وقاعدته الصناعية ومصادر تمويله، علما بان الطرف الاميركي يطالب الاوروبيين بإلحاح بمضاعفة نفقاتهم الدفاعية لتبلغ نسبتها 5 في المئة من ناتجهم الداخلي الخام، فيما ما ينفقونه حاليا، باستثناء دول قليلة، مثل بولندا ودول شمال اوروبا، يدور حول 2 في المئة.

حقيقة الامر ان الاوروبيين بدأوا يستشعرون "عقدة النقص" لجهة التعامل مع الشريك الاميركي، واحدى صعوباتهم تكمن في غياب اليقين حول ما يمكن لترامب ان يقرره او لا

يقرره بحيث يمارس بذلك ضغوطا كبيرة على شركائه كما على خصوم بلاده من اجل التوصل الى صفقة. الصعوبة الثانية انه ليس من السهل تصنيفه سياديا، انعزاليا او حمائيا، والامر الوحيد الثابت انه يؤمن بـ"استثنائية الولايات المتحدة التي لها ان تختار بشكل منهجي طريقها الخاص بغض النظر عن حالة النظام العالمي اذا كان يناهض مصالحها". خلاصة الامر ان مع ترمب - 2 انتهى زمن المصالح المشتركة مع واشنطن، كما دفن "النادي الغربي" وبدأ عصر جديد.

يبين إستطلاع للرأي اجري لصالح مجلس الاوروبي للعلاقات الخارجية والتقرير الصادر عن جامعة اوكسفورد في خصوص مستقبل اوروبا، ان مواطني القارة القديمة هم الاكثر تشاؤما بازاء ولاية ترامب الثانية التي ستكون مسيئة بالنسبة الى الاوروبيين كما الى العثور على حلول للنزاعات عبر العالم، وذلك عكس ما يروج له ترامب وانصاره ومن عينهم في مناصب في ادارته الجديدة. يرى المؤرخ والباحث البريطاني تيوزمتي غارتون اش ان ثمة تحديين كبيرين بالنسبة الى الاتحاد الاوروبي وايضا الى بريطانيا: الاول، عنوانه النهج المرتقب لترامب بازاء الحلف الاطلسي، والاخر كيفية تعامله مع الملف الاوكراني. القاسم المشترك بينهما التساؤل حول مدى استعداد اميركا ترمب - 2 لدعم حلفائها في حال انخراطها في نزاع قد يكون مع روسيا. وقال المؤرخ البريطاني ما حرفيته: "اخشى ان تأثير ترامب لن يقسم الغرب فحسب، بل سيقسم اوروبا ايضا. هذا هو التحدي الكبير بالنسبة الينا نحن الاوروبيين".

سبق للرئيس الجديد ان هدد بترك الحلف في حال امتناع الاوروبيين عن التجاوب مع مطالبه. ومعظم المشاورات حول تداعيات ولاية ترامب الثانية على الامن والدفاع في اوروبا يدور داخل مؤسسات الاتحاد الاوروبي الذي ينتمي 32 من اعضائه الى الحلف الاطلسي، حيث يوجد

فريق عمل ينكب منذ اشهر على دراسة السيناريوهات والردود التي يقتضيها موقف الادارة الاميركية الجديدة، خاصة في حال صحت التوقعات بالتوصل الى اتفاق بين ترامب وبوتين حول اوكرانيا.

ليس سرا ان الاوروبيين ليسوا مجمعين على كيفية التعاطي مع ترامب، مما يضعف بوضوح موقفهم. كذلك هم منقسمون حول الدعوات الخاصة بتعزيز الوسائل الدفاعية الاوروبية المشتركة تحسبا لما قد يصدر عنه. بالنسبة الى اوكرانيا، فان تخوف الاوروبيين ان يعمد ترامب الى التخلي عن مواصلة دعم كييف، وان يبرم صفقة مع نظيره الروسي على حساب اوكرانيا والاوروبيين. من هنا، فان الاتحاد الاوروبي يطالب بان يكون له دور في اي مفاوضات تقوم بين روسيا واوكرانيا، وان تكون الكلمة الفصل للاوكرانيين انفسهم. كذلك يتأهب الاوروبيون لمواصلة دعم كييف حتى لو تراجع الاسناد الاميركي.

بيد ان اوكرانيا ليست وحدها مصدر الصداع الذي يؤرق الاوروبيين. ففي الايام الاخيرة، تتحدث الصحافة الغربية عن طموحات ترامب التوسعية انه يريد شراء جزيرة غرينلاند من الدانمارك، ولم يستبعد اللجوء الى القوة حال رفضت كوبنهاغن عرضه. كذلك اكد انه عازم على استعادة بنما الاستراتيجية، لوضع اليد مجددا على قناتها التي تربط المحيطين الاطلسي والهادئ. وسبق له ان اعرب عن رغبته في تحول

> **خشية اوروبية من اقدام ترامب على ابرام صفقة مع بوتين على حساب اوكرانيا**

كندا الى الولاية الاميركية الحادية والخمسين. طموحات ترامب من شأنها ان تنسف العلاقات الدولية، وقد اثارت الذهول والفوضى مع ان هناك مَن يرى انها جزء من استراتيجية تفاوضية تقوم على المطالبة بالمستحيل للحصول على تنازلات محدودة اقتصادية وجمركية. ورأى آخرون انها تكتيكات للهيمنة على المناقشات والمواضيع المطروحة والتفرد بالاهتمام الاعلامي، وان ترامب لن ينفذ تهديداته، وان ما قاله رسائل موجهة الى قوى عظمى (الصين وروسيا) اكثر مما تعبر عن مطامع تطول الدانمارك او بنما.

قبل اوكرانيا، يهتم الاوروبيون بطبيعة علاقات بلادهم الاقتصادية والتجارية مع الشريك الاميركي، وخوفهم الاكبر ان ينفذ ترامب تهديداته بفرض رسوم اضافية على صادراتهم، علما ان الولايات المتحدة تشكل السوق الاولى للصادرات الاوروبية والعكس بالعكس. وخلال حملته الانتخابية، لم يتوانَ ترامب عن التنديد بالاوروبيين شاهرا

سلاح رفع الرسوم الجمركية الى نسبة تتراوح ما بين 10 و20 في المئة، مما من شأنه الاضرار بالدول المصدرة. ويبحث الاوروبيون عن حلول او عن ردود لثني ترامب عن اختيار هذا السبيل.

وتقول مصادر ديبلوماسية اوروبية ان الاتحاد قد اعد حزمة من الاسلحة التجارية، لكنه قرر التكتم عليها كي لا يستفز الجانب الاميركي، وان فريقا من الخبراء كان قد انكب طوال اشهر على وضع تصورات وردود محتملة، واعد حزمة التدابير التي تتيح للاتحاد الاوروبي الرد عليها. كما يرجح ان الرد الاوروبي سيركز الرسوم التي سيفرضها على المنتجات والقطاعات وفقا لتداعياتها في الاسواق وتأثيرها على الولايات الاميركية التي يحكمها الجمهوريون، لدفع ممثليها في الكونغرس الى الضغط على ترامب كي يعود عن تهديداته، وهو الاسلوب نفسه الذي اعتمده الاتحاد خلال ولاية ترامب الاولى عندما قرر الرئيس الاميركي فرض رسوم جمركية على منتجات الصلب والالمنيوم، فرد الاتحاد بفرض رسوم اضافية على منتجات "هارلي ديفيدسون"، وعلى عصير البرتقال وبعض المشروبات الروحية.

لكن اكثر ما يقلق المفوضية هو ان وحدة الصف التي اظهرتها صورة قمة بروكسل الاخيرة وما رافقها من تصريحات، تخفي وراءها تحركات من جانب بعض الدول، مثل ايطاليا والمجر وحتى فرنسا، لفتح قنوات ثنائية مع الادارة الاميركية للتفاوض حول اعفاءات من الرسوم، والخروج عن الموقف الموحد الذي يعده خبراء الاتحاد حيويا لمواجهة المعركة التجارية مع واشنطن.

بحسب تقييمات اجراها متخصصون، فان الاتحاد الاوروبي ربما يكون في موقف جيد للرد على فرض الولايات المتحدة اي رسوم جمركية على السلع الاوروبية، كما ان تعرفات مضادة قد يلجأ اليها الاتحاد ستضر بالاميركيين على نحو متواز. لكن النخب الاوروبية تميل نحو الضغط في اتجاه وضع ترتيبات تجارية ترضي ترامب، والتفاوض معه بدلا من التورط في حرب تجارية مفتوحة سيخسر فيها الجميع، علما ان الاتحاد يمثل بسوقه الموحدة اهمية كبرى لأي شريك تجاري عالمي، لكن هيمنة الولايات المتحدة المستمرة على النخب الاوروبية تضعف من عزم هذه الاخيرة على مواجهة ترامب بصرامة.